

مجلة الدراسات العربية والأدبية والترجمة

تصدر عن

قسم الدراسات العربية، كلية الآداب

جامعة لافيا الفيدرالية،

ولاية نصراوى، نيجيريا

العدد الثالث (يناير) 1445هـــ الموافق 2024م

الترقيم الدولي: 2814-0927

طبع بشركة الهدى للطباعة والنشر، هوتور- كنو نيجيريا
رقم الهاتف: 002349060007976

شروط النشر

- تقديم المقالة إلى عنوان مجلة المعادن الإلكتروني : almaadinarabicjournal@gmail.com
- دفع رسوم التحكيم؛ خمسة آلاف نيرا، علمًا بأن المبلغ غير مستردّ.
- أصالة المقالة؛ حيث لم يتمّ نشرها في أية مجلة، أو دورية، أو غير ذلك من وسائل النشر الأخرى.
- اتّسام المقالة بالجدّية في موضوعاتها التطبيقية أو النظرية، على أنها قضايا أو دراسة تخدم المجتمع والإنسانية، للنهوض نحو التطوريّة والصلاحيّة.
- الاتصاف بالوصفية أو التحليليّة أو تقارير البحث، أو غير ذلك، بشرط أن تكون محاورها مستمدّة من الدراسات العربية والأدبيّة والثقافيّة والتاريخيّة.
- احتداد مستخلص المقالة في مائة وخمسين كلمة، ولا تزيد صفحاتها على عشرين صفحة، بما فيها المستخلص والمراجع، وعنوان المقالة، واسم الكاتب، وعناوين الاتصالات، وتطبع المقالة بورقة A4، وبنوعية خط Traditional Arabic، وأن يكون Font 16 هو حجم طقم الحروف المطبعية.
- دفع عشرين ألف نيرا بعد التحكيم وصلاحيّة المقالة للنشر.

هيئة التحرير

الهيئة الاستشارية

كلمة أسرة التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الرسول المصطفى، وبعد: تسرّ هيئة التحرير تقديم "مجلة المعادن" إصدار قسم الدراسات العربية، جامعة لافيا الفدرالية، العدد الثالث في نوعها إلى القرّاء الكرام، ذلك بعد أن وجدت الأعداد السابقة رواجا كبيرا لدى جماعات الدارسين والباحثين الأكاديميين داخل نيجيريا وخارجها، ولا غرو فقد اعتنى أعضاء هيئة التحرير لهذه المجلة بماهية المجلات المعتمدة للنشر في إصداراته السابقة. وكان من اعتناء أعضاء التحرير في غاية الحرص على الاحتفاظ بالجودة والأصالة مع مراعاة ميول المشاركين الأدبية واللغوية والثقافية والفكرية وغيرها....وسعيًا نحو بلوغ المستوى الذي تبلغها مجالات عالمية ذوات معامل تأثير في الحقل الأكاديمي.

هذا، لقد قامت هيئة التحرير باستقبال مقالات عديدة تجنح إلى موضوعات ذات صلة بالدراسات الأدبية واللغوية والترجمة حسب نطاق المجلة، والحق أن أكثر هذه المقالات صالحة للنشر بعد التحكيم، وإني –إذْ أقدّم هذا العدد في هذه الصورة– أعلم علم اليقين أنه جهد جهيد من الدارسين والباحثين المشاركين، شأنه شأن كلّ محاولة إنسانية قد يجانبها التوفيق في بعض الموضوعات المناقشة حتى ينتهي إلى اختلاف الآخرين مع الباحثين في بعض المسائل العلمية والفكرية والمعرفية... وإن هيئة التحرير مع ذلك لمؤمنون أنّنا قد بذلنا فيه جهدًا معبّرًا في تقييم المقالات من حيث التدقيق اللغوي دون مسيس للأفكار التخصّصية، وحسبنا أن نقول إن الآراء الواردة في الموضوعات تمثّل أفكار أصحابها ليس إلا، وليست أفكار هيئة التحرير في شيء، فبهذا الجهد يبدو أننا عبَّدنا معالم الطريق لمزيد من البحث والدرس والعناية لمستقبل اللغة العربية وآدابها في ربوع العالم.

رئيس التحرير

د. آدم أديبايو سراج الدين
أستاذ تاريخ الأدب الأفرو – عربي والنقد
ومدير مركز البحوث والتفكير الإبداعي
جامعة لافيا الفيدرالية.

التعريف بأصحاب المقالات

1. الدكتور إسماعيل زيلاني أبوبكر: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا، نيجيريا.
2. آدم إسحاق جبرين: قسم الدراسات العربية، جامعة لافيا الفيدرالية، ولاية نصراوا، نيجيريا.
3. الدكتور داود عبد العزيز أونييدي: قسم اللغات الأجنبية، جامعة ولاية لاغوس، نيجيريا.
4. الدكتور مُحَمَّد طه عبد الله: قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سُلِي لَامِيطُو كَفِنْ هَوْسَا، جغاوا نيجيريا.
5. الدكتور يوسف سليمان الغماوي: قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا.
6. عثمان مُحَمَّد أحمد الزهري: باحث في مرحلة الدكتوراه بجامعة الملك خالد– المملكة العربية السعودية.
7. مُحَمَّد خامس بابا قسم الدراسات العربية، جامعة لافيا الفيدرالية، ولاية نصراوا، نيجيريا.
8. الدكتور طيب مصطفى مُحَمَّد: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا، نيجيريا.
9. الدكتور عبد الكبير مُحَمَّد الجامع:كلية نغومظى للعلوم والدّراسا الإسلاميّة، كنتغورا، ولاية نيجا.
10. عبد الفتاح بشير بلّو: قسم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية، زاريا، ولاية كدونا.
11. الدكتور ثاني أبوبكر عبد الله: قسم اللغة العربية، جامع ولاية بَوتشِي، غَطَوْ، نيجيريا.
12. لأنَسَيْ حسن عثمان: قسم اللغة العربية جامعة أبوجا الفدرالية، أبوجا نيجيريا.

13. حمزة عمر نوح: قسم الدراسات العربية، جامعة لافيا الفيدرالية، ولاية نصراوا، نيجيريا.
14. الدكتور يحيى توين مرتضى جامعة ولاية، كوارا، مليتي، ولاية كوارا، نيجيريا.
15. الدكتور عبد الفتاح شئث عبد الرفيع: وحدة اللغة العربية، قسم اللغات الأفريقية، كلية الآدب، جامعة إمنهيل ألايندي للتربية، ولاية أويو، نيجيريا.
16. الدكتور نجيب أولاينكا عباس: قسم اللغات، شعبة اللغة العربية وآدابها – جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.
17. الدكتور ذكر الله أيوفى شافعي: قسم اللغات، شعبة اللغة العربية وآدابها – جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.
18. الدكتور أحمد يوسف إمام: قسم الدراسات العربية، جامعة لافيا الفيدرالية، ولاية نصراوا، نيجيريا.
19. الدكتور عليّ عبد القادر العسلي، قسم اللغة العربية، جامعة ولاية يوبي، دَمَاتُرُو، نيجيريا .

قائمة المحتويات

بنية الزمن السردي في رواية "أشياء تتداعى" للروائي النيجيري: تشينوا أتشيبي

عثمان محمد أحمد الزهري
باحث في مرحلة الدكتوراه بجامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

تعد رواية "أشياء تتداعى" للروائي النيجيري "تشينوا أتشيبي" من أقدم الروايات النيجيرية التي قدمت الوصف الحقيقي لأحد الشعوب النيجيرية وعاداته وتقاليده وثقافته ودينه قبل وصول المستعمر البريطاني الأبيض إليه وتحويل حياة أبنائه إلى جحيم ذاقوا فيه أشد الويلات والعذاب. وقد وظف الروائي في هذه الرواية جميع عناصر البناء الروائي توظيفا أثبت مهارته في كتابة العمل الروائي. وتسعى هذه الدراسة إلى كشف اللثام عن هذه الرواية من خلال دراسة عنصر الزمن الذي يعتبر من أهم العناصر المكونة لبنية الرواية، والذي استعمله الروائي بجميع تقنياته الجمالية المتمثلة في استرجاع الأحداث الماضية أو استباقها قبل زمن وقوعها- وهما شكلا المفارقة الزمنية- وتقنية تسريع الحكي بشقيها الحذف والخلاصة، وتقنية تبطئة الحكي بشقيها المشهد والوصف، كما وظف الروائي أيضا تقنية التواتر الزمني بأنماطه الأربعة كلها. وكان توظيفه لهذه التقنيات لأغراض بعضها تشويقية والأخرى فنية جمالية.

مدخل:

في عام 1957م- ونيجيريا على وشك الاستقلال- نشر تشينوا أتشيبي (Chinua Achebe) الروائي النيجيري المشهور- روايته الأولى بعنوان: "أشياء تتداعى" التي استخدم فيها لغة المستعمر وفنه الروائي لإثبات أن القارة الإفريقية ليست خالية من الثقافة كما روج له المكتشفون الأوربيون الأوائل، بل كانت إفريقيا مركزا للثقافة، ولذلك وصف من خلال سرد أحداث متعددة حال شعب من شعوب نيجيريا- وهو شعب إيبو الذي يستوطن قرى أوموفيا التسع- وعاداته وتقاليده قبل وصول المستعمر البريطاني الغاشم إليه، وما قاساه وعاناه من الويلات والظلم بعد وصوله. وكان لنهجه هذا صدى لدى العديد من القراء.

واستعمل أتشيبي في هذه الرواية جميع عناصر البناء الروائي وأجاد في استعمالها، وقد لاحظت فيها مهارته في توظيف عنصر الزمن وقدرته على التلاعب بأحداث الرواية داخل حيزها الزمني، حيث جعلها تتذبذب بين استرجاع الماضي، والسير بها نحو الأمام ويستبقها أحيانا قبل زمن وقوعها من خلال التمهيد لها أو الإعلان عنها بأنها ستقع. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي عنونته بـ: (بنية الزمن السردي في رواية "أشياء تتداعى" للروائي النيجيري: تشينوا أتشيبي).

ويعد الزمن من أهم العناصر الأساسية التي يتكون منها العمل الروائي خصوصا، والفن القصصي عموما، كما يعد من أهم تقنيات السرد التي يتشكل منها الفضاء الروائي إلى جانب العنصر المكاني. وله أهمية كبيرة في بناء العمل السردي. ويختلف الزمن السردي عن الزمن الحقيقي، فـ "الزمن الحقيقي لا يوجد إلا في الواقع بنظام مرجعي معين، أما الزمن السردي فيختلف عن الواقعي، ولا يظهر إلا من خلال الخطاب، والنص هو الذي يبرزه من خلال دلالاته وسياقه.[1]

وقد اهتم جيرار جنيت بالزمن السردي، وأوجد له جملة من التقنيات المحددة والمضبوطة لدراسته في العمل الأدبي، وهذا ما سنحاول دراسته من خلال مباحث هذا البحث الآتية، ويتحدد عملنا في تحليل ودراسة أربع تقنيات جوهرية، وهي: زمن القصة وزمن الخطاب، المفارقة الزمنية، المدة الزمنية والتواتر الزمني.

وتدخل هذه التقنيات كلها تحت ما يسمى "الزمن الداخلي" أو زمن المغامرة، وهو الزمن السردي الذي تدور داخل فلكه أحداث الرواية.

المبحث الأول: زمن القصة وزمن الرواية.

تتمظهر قدرة الروائي الفنية والإبداعية في طريقة تلاعبه في عرض أحداث الرواية داخل الحيز الزمني استرجاعا واستباقا، حذفا وتلخيصا، ما يجعل القارئ عاجزا أو شبه عاجز عن إدراك الزمن الحقيقي للأحداث أو الوقوف عليه، وخاصة في الروايات التي لم يُحدد لأحداثها تواريخ زمنية تضبطها وتدل المتلقي على طريقة استيعابها. وقراءة سريعة في رواية "أشياء تتداعى" كافية لتعرف القارئ على مدى قدرة الكاتب على التلاعب في عرض أحداث الرواية داخل حيزها الزمني، حيث إنه استطاع إخضاع الزمن لنظام ترتيب متذبذب يذهب بالقارئ تارة إلى الوراء سحيقا أو قريبا، ويذهب به تارة أخرى إلى

الأمام قريبا أو بعيدا. وبالرغم من أنه قسم الرواية إلى ثلاثة أجزاء وجعل كل جزء يبدأ زمينا من حيث انتهى الجزء الذي قبله، إلا أنه لم يلتزم هذا الترتيب التسلسلي لأزمنة الأحداث داخل الأجزاء.

وقد ميز تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov) في مسار العمل السردي بين زمن القصة وزمن الخطاب تمييزا دقيقا، حيث يرى أن "زمن الخطاب... خطي، وزمن القصة متعدد الأبعاد. إن العديد من الأحداث في القصة يمكنها أن تجري في وقت واحد، لكن في الخطاب لا يمكنها أن تأتي مرتبة واحدة بعد الأخرى، وذلك بسبب الانحرافات الزمنية المتعددة التي تمدنا بها العديد من الخطابات على المستوى الزمني، وهكذا نجد أشكالا متعددة بحسب زمن القصة وزمن الخطاب من خلال التضمن أو التسلسل أو التناوب.[2]

ويعني هذا أن زمن القصة أو زمن المتن هو زمن ترتيب الأحداث في القصة، فهو زمن تتابعي يخضع للتنظيم المنطقي للأحداث داخل القصة، بحيث يبدأ كل حدث زمينا من حيث انتهى الحدث الذي قبله. بينما زمن الخطاب أو زمن السرد لا يخضع لذلك، فهو عرض للأحداث بغض النظر عن ترتيبها الزمني التتابعي المنطقي، إنه زمن لا وجود له خارج الرواية، ويتعلق بأسلوب الكاتب وتقنياته في عرض الأحداث.

أما ما يتعلق برواية "أشياء تتداعى" فإن أتشيبي قسم أحداثها إلى ثلاثة أجزاء كبيرة مرتبة ترتيبا متسلسلا بحيث يبدأ حدث كل جزء من حيث توقف حدث الجزء الذي قبله على النحو التالي :

- في الجزء الأول تناول قصة البطل أوكونكو وكل ما يتصل بحياته في قرية "أوموفيا" القرية التي ولد ونشأ فيها حتى أصبح ذا شأن ومكانة بين أهلها، وأحرز فيها شهرة واسعة لتعم جميع القرى التسع وحتى تصل إلى ما وراءها، بفضل إنجازاته الشخصية وطموحه لإحراز أرفع لقب يحرزه رجل في تلك القرية. لينتهي به الأمر في نهاية هذا الجزء إلى ارتكاب جريمة قتل أحد أبناء عظماء القرية ببندقيته خطأ عن غير قصد، ويجمع أهله: زوجاته وأولاده ويفروا من البلد إلى قرية أمه "مبانتا" استجابة لقضاء ربة الأرض التي تقضي على كل من ارتكب جريمة أنثى – وهي الجريمة التي ترتكب خطأ- أن يفر من البلاد وألا يعود إليها إلا بعد سبع سنوات.

- ويبدأ الجزء الثاني بقصة حياة البطل أوكونكو في منفاه قرية "مبانتا" التي قضى فيها فترة من حياته مليئة بالقلق بسبب الأخبار التي تتواتر إليه عن المستعمر والعنف الذي يمارسه ضد أهل القرى المجاورة، وعن الدين المخالف لدينهم ومعتقداتهم الذي حمله إليهم، واتباع ابنه لدين المستعمر وتركه لدين آبائه. وبعد أن تم له سبع سنوات في مبانتا أقام أوكونكو وليمة كبيرة دعي إليها جميع أهل قرية "مبانتا"، وشكر لهم أوكونكو ما قدموه إليه في السنوات السبع التي قضاها بينهم.
- ويعود أوكونكو إلى قريته أوموفيا بعد أن قضى سبع سنوات في المنفى. وقد خطط لعودته منذ سنته الأولى في المنفى، وكان ضمن خطته إعادة بناء مجتمعه على مستوى أبهى. وكان يتوقع أن يجد إجلالا واستقبالا هائلا من عشيرته، ولكن الأمر لم يكن كما توقع، فقد فكك الرجل الأبيض وحدة القبيلة وذرع الخوف بين العشيرة إلى حد لا تستطيع مجابهته. ومن هناك قرر أوكونكو تحدي المستعمر البريطاني بقتل رئيس سعاة محكمته. وانتهى الجزء الثالث والأخير بانتحار أوكونكو شنقا على شجرة.

فتقسيم الأجزاء هنا جاء مرتبا وفق التسلسل الزمني المنطقي لأحداث الرواية كما هو في الواقع. لكن الكاتب داخل هذه الأجزاء لم يلتزم تسلسلا خطيا منتظما في سرده لأحداثها، بل إنه عرضها متذبذبة بين الحاضر فالماضي وعودة إلى الحاضر وهكذا.

فالرواية بدأت بزمن الحاضر حيث البطل أوكونكو يتمتع بشهرة واسعة ومكانة رفيعة بين عشيرته، "أحرز أوكنكو شهرة واسعة في جميع أنحاء القرى التسع وحتى فيما وراءها. وقد قامت شهرته على إنجازات شخصية راسخة.[3] فالشهرة الواسعة التي أحرزها أوكونكو لا شك أنها قد مرت بإنجازات عديدة قام بها أوكونكو في فترات زمنية ماضية، لكن الرواية في جملتها الأولى لم تتحدث عن تلك الإنجازات التي أوصلت أوكونكو إلى إحراز شهرته التي يتمتع بها في حاضره، فافتتحت بزمن الحاضر.

ثم ارتدت الرواية فجأة إلى الماضي لتتذكر إحدى إنجازات وبطولات أوكونكو التي مكنته من أن يحتل هذه المكانة الرفيعة بين عشيرته: "فحين كان شابا في الثامنة عشر، حاز لقريته على شرف عظيم، بتغلبه على الهر أمالينز، كان أمالينز المصارع العظيم الذي لم

يقهره أحد من أوموفيا إلى مباينو طيلة سبع سنوات. كان يدعى الهر، لأن ظهره ما كان يلمس الأرض أبدا. وهو الرجل الذي طرحه أوكونكو أرضا في قتال وافق الرجل العجوز على أنه أشرس قتال منذ أن تصارع مسؤسس بلدتهم مع روح البراري، مدة سبعة أيام وسبع ليال". (ص7).

ونلاحظ هنا أن ارتداد الرواية لم تكن إلى ما هو داخل الرواية فقط، بل ارتدت أيضا إلى خارج الرواية بتذكر قتال مؤسس البلدة مع روح البراري. وقد ذكرت الرواية فيما بعد أن مصارعة أوكونكو مع الهر أمالينز حدثت قبل عشرين سنة أو أكثر، وذكرت أن عمر أوكونكو وقتها ثمانية عشر سنة. ما يدل على أن الرواية بدأت بقصة أوكونكو وهو في حدود ثمان وثلاثين إلى أربعين سنة من عمره، ثم ارتدت إلى عشرين سنة أو أكثر.

واسترجعت الرواية مرة أخرى لتحدثنا عن وفاة أونوكا والد أوكونكو قبل عشر سنوات وعن حياته التي قضاها كسولا ومبذرا مسرفا وعاجزا عن التفكير والتسابق نحو طلب المعالي حتى مات دون أن ينال أي لقب. وبعد ذلك عادت الرواية إلى حاضر أوكونكو الذي افتتحت به.

وهكذا استمرت الرواية تتجه بأحداثها نحو الأمام وهي في أثناء ذلك ترتد إلى الماضي لتستحضر الأحداث التي جرت فيه. وهذا ما سيجعل تحديد زمن أحداث الرواية مرتبة متسلسلة أمرا صعبا جدا. وقد لاحظت أن أغلب الاسترجاعات والتلاعب في التصرف مع الأحداث كانت في الجزء الأول من الرواية. أما في الجزء الثاني وبعد وصول المستعمر الأبيض، تداعت الأحداث وتكثفت واتجهت بسرعة كبيرة نحو النهاية دون أن تسترجع كثيرا إلى أحداث الماضي.

المبحث الثاني: المفارقات الزمنية في الرواية.

يولد الكاتب مفارقات زمنية عندما يجعل أحداث الرواية متذبذبة بين العودة إلى الوراء أحيانا والقفز بها إلى الأمام أحيانا أخرى، وتعني المفارقة الزمنية كما قال جيرار جنيت: "دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، من خلال مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي، بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة.[4]

والمفارقة الزمنية لها شكلان: الاسترجاع والاستباق، فالاسترجاع هو العودة بالأحداث إلى الوراء البعيد أو الوراء القريب، والاستباق هو القفز بالأحداث إلى الأمام. وسنحاول الوقوف على المفارقة الزمنية بشكليها في رواية "أشياء تتداعى."

أولا: الاسترجاع.

الاسترجاع أو الاستذكار أو الارتداد كما يسميها البعض "مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر[5].

ووظيفته هو خدمة الحكي والإسهام "في نمو أحداثه وتطورها، مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطاء القارئ معلومات حول سوابق شخصية جديدة، دخلت عالم الرواية أو بإعطائه على حاضر شخصية اختلفت عن مسرح الأحداث، ثم عادت للظهور من جديد[6].

وقسم النقاد الاسترجاع إلى قسمين:

1. الاسترجاع الخارجي: وهو "الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى". وبعبارة أخرى: هو الاسترجاع الذي يستعيد أحداثا جرت في زمن قبل زمن بداية الرواية، في زمن خارج زمن أحداث الرواية، في زمن سابق لزمن بداية القصة. ووظيفته الوحيدة هي "إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك.[7]
2. الاسترجاع الداخلي: وهو الذي يستعيد حدثا سابقا، لكن "تظل سعته داخل سعة الحكاية الأولى[8]. أي أن هذا الحدث المستعاد وقع في زمن الحكاية لا خارجها.

وقد وظف أتشيبي تقنية الاسترجاع بشقيها الخارجي والداخلي في سياقات حكائية مختلفة في روايته "أشياء تتداعى."

أما الاسترجاع الخارجي فقد كان تشينوا أتشيبي يوظف استرجاعات بعيدة المدى ترتد إلى الوراء أزمانا طويلة، ومن الأمثلة على ذلك استرجاعه لمصارعة أوكونكو بطل الرواية مع الهر أمالينز عندما كان شابا في الثامنة عشر، "فحينما كان شابا في الثامنة عشر من عمره، حاز لقريته على شرف عظيم بتغلبه على الهر أمالينز. كان أمالينز المصارع العظيم الذي لم يقهره أحد، من أوموفيا إلى مباينو طيلة سبع سنوات. كان يدعى الهر لأن

ظهره ما كان يلمس الأرض أبدا. وهو الرجل الذي طرحه أوكونكو أرضا في قتال وافق الرجل العجوز على أنه أشرس قتال منذ أن تصارع مؤسس بلدتهم مع روح البراري مدة سبعة أيام وسبع ليال" (ص7).

فهذا الاسترجاع خارجي، لأنه استعاد حدثا وقع قبل زمن بداية الرواية، فالرواية بدأت بحياة أوكونكو عندما كان رجلا يتمتع بالشهرة والمكانة بين العشيرة في الثامنة والثلاثين إلى أربعين من عمره، فاستعاد لنا الراوي هذا الحدث الذي وقع عندما كان البطل في الثامنة عشر، واستعاد حدثا آخر يمتد إلى الوراء زمنا بعيدا جدا، وهو مصارعة مؤسس البلدة مع روح البراري مدة سبعة أيام وسبع ليال. ووظيفة هذا الاسترجاع هنا هو توضيح ماضي البطل الذي أغفلته الرواية وهو ذو أهمية بالغة لمعرفة الإنجازات والبطولات التي أوصلت بالبطل إلى المكانة العالية والشهرة التي يتمتع بها في حاضره.

ومنها أيضا تذكر الراوي لأوكولو الجد الأعلى لعشيرة والدة البطل في يوم وليمة استكمال البطل أوكونكو سنواته السبع في المنفى، "دعي إلى الوليمة جميع الأومونا، جميع نسل أوكولو، الذي عاش قبل حوالي مائتي سنة". (ص180) فأوكولو هنا شخصية جديدة ظهر اسمها للمرة الأولى في الرواية، فاستذكر الراوي أن الشخصية قد ماتت قبل حوالي مائتي سنة، وهذا الاسترجاع بعيد جدا عن زمن بداية الرواية.

والاسترجاعات الخارجية هي الأكثر في هذه الرواية، وفيما مثلنا بها كفاية، ولنورد الآن أمثلة على تقنية الاسترجاعات الداخلية الموظفة في الرواية.

استرجع الراوي ما قاله البطل أوكونكو لرجل لا يحمل لقبا أثناء اجتماع العشيرة عند حديثه عن فظاظة أوكونكو في التعامل مع الناس الأقل نجاحا، " فقبل أسبوعين فقط خالفه شخص في الرأي أثناء اجتماع للأقارب عقدوه لمناقشة الاحتفال بعيد الأجداد القادم. فال أوكونكو دون أن ينظر إلى الرجل: (إن هذا الاجتماع للرجال). فالرجل الذي خالفه في الرأي لا يحمل أية ألقاب، لذلك السبب دعاه امرأة، إن أوكونكو يعرف كيف يقتل روح رجل". (ص32).

فهذا الحدث كما هو واضح وقع داخل زمن الرواية لا خارجها، وقد استرجعها السارد ليثبت أن أوكونكو رجل فظ المعاملة مع الناس الأقل نجاحا سواء كانوا كبارا أو صغارا، فهو لم يكن يحسن المعاملة إلى والده لأنه كان فاشلا فضلا عن غيره، وليوضح السبب

الذي دعا رجلا عجوزا أن يقول لأوكونكو: "حين ينظر المرء إلى فم ملك، يخيل إليه أنه لم يرضع مطلقا من ثدي أمه". (ص38) يعني بذلك أن أوكونكو يسيء المعاملة إلى قليلي النجاح فكأنه لم يكن يوما من الأيام فقيرا مدقعا وسيء الحظ.

وهكذا وظف الكاتب هذه التقنية بإتقان وبراعة. ونلاحظ أن هذه الاسترجاعات الخارجية منها والداخلية إنما وظفها الكاتب ليسد ثغرات غفلت عنها الرواية، ثم أحس بالحاجة إليها، إما عند ذكر شخصية جديدة لم يمر لها ذكر في الرواية، فيسترجع الراوي ماضيها ليوضحه للقارئ، وإنما لأجل تعلق الحاضر بماض لا يمكن استيعاب الحدث الحاضر إلا بالرجوع إليه.

ثانيا: الاستباق.

الاستباق هو القفز بالأحداث إلى الأمام، وعرف بأنه "الولوج إلى المستقبل قبل الوصول الفعلي إليه[9].

أو هو "تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد، إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيس في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه، أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع[10].

ويقول جيرار جنيت: "الاستباق على كل حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما[11].

ويقوم الاستباق "بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي، فتكون غايتها في هذه الحالة حمل القارئ على توقع حادث ما، أو لتكهن بمستقبل إحدى الشخصيات... كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات.[12]

وخلاصة القول إن الاستباق يأتي في شكلين:

أ. شكل تمهيدي "يشكل بذرة غير دالة، لن تصبح ذات معنى إلا في وقت لاحق وبطريقة إرجاعية". (ص137) وهذا يعني أنه يكون مجرد إيحاءات وإشارات توحي بحدث تجعل القارئ يتنبؤ وقوعه في المستقبل .

ب. شكل إعلاني: "يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق. ونقول: صراحة لأنه إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضمنية يتحول توا إلى استشراف تمهيدي". (ص137) فالفرق بينه وبين الأول هو أنه إعلان صريح لما سيقع في المستقبل، بينما الأول مجرد تمهيد بطريقة إيحائية تلميحية غير صريحة.

وقد قل توظيف هذه التقنية في رواية "أشياء تتداعى" كما هو الشأن في أكثر الروايات، ويؤكد قلة توظيفه في الرواية قول عبد الملك مرتاض: "تشغل تقنية الاستباق نسبة ضئيلة من مساحة النص الروائي، وغالبا ما تتم الإشارة إليها بشكل عابر وسريع قد لا يتجاوز أكثر من فقرة أو فقرتين.[13]

والاستباق أيضا قد يكون خارجيا بعيد المدى، بحيث يتجاوز حدود الحكاية الأولى، وقد يكون داخليا قريب المدى لا يتجاوز حدود الحكاية الأولى.[14] ونحن هنا سنقف وقفة مع الاستباق بشقيه التمهيدي والإعلاني في رواية "أشياء تتداعى"، مع الإشارة إلى كونها خارجية أو داخلية.

أما الاستباق التمهيدي فقد وظفه الكاتب في سياقات سردية قليلة جدا، ومن ذلك ما نجده عند حديثه عن قتل أهل قرية مباينو لامرأة من أوموفيا لما ذهبت إلى السوق، وإرسال أهل أوموفيا البطل أوكونكو إليهم ليخيرهم بين الحرب أو تقديم فتاة وغلام فداء عن المرأة المقتولة، حيث يقول: "وعاد بعد يومين مع غلام عمره خمسة عشر عام وعذراء شابة، كان اسم الغلام إيكيميفونا، الذي لا تزال قصته المحزنة تروى في أوموفيا حتى يومنا هذا". (ص7)

فهنا يمهد السارد بطريقة إيحائية لحدث سوف يقع مستقبلا في حدود الحكاية دون أن يصرح به، وإنما أوحى إليه بأنه قصة محزنة، لكن لم يعلن عن تلك القصة المحزنة صريحا. وقد وقعت القصة بعد ما قضى إيكيميفونا ثلاث سنوات في منزل أوكونكو وبعد أن استأنس به أوكونكو وأحس بأنه واحد من أبنائه، واستأنس به أبناء أوكونكو وأحسوا بأنه أخوهم، ثم قرر سادة العشيرة قتله بطريقة أحزنت أوكونكو وأبناءه، ولكن لا مندوحة لهم من تنفيذ ما قرره سادة العشيرة، وهو إرادة الآلهة أيضا، ولا يتحقق هذا الاستباق

كما رأينا إلا بالرجوع إلى الماضي، أي بأن يرجع القارئ ذهنه إلى ما ذكر في الماضي أن إيكيميفونا له قصة محزنة لا تزال تروى في أومووفيا إلى يوم الناس هذا.

وكما وظف الروائي تقنية الاستباق التمهيدي فإنه وظف أيضا إلى جانبه تقنية الاستباق الإعلاني، ومن أمثلة ذلك حديثه عن أوكونكو لما أفرج عنه المستعمر بعد سجنه له هو وخمسة آخرون من سادة القرية، عندها نادى منادي القرية إلى اجتماع سيعقد غدا لاتخاذ قرار حاسم لمواجهة الرجل الأبيض، إلا أن أوكونكو يرى أن هناك عقبة كبيرة بينهم وبين الحرب، وهو ذلك السيد الجبان إيجونواني الذي يحرك رجال القرية نحو العجز. فهو متأكد أن الرجل لا يمكن أن يوجههم نحو الحرب، وأنه لا شك "غدا سيخبرهم بأن آباءنا لم يخوضوا مطلقا حرب لوم. إذا استمعوا إليه سأتركهم وأخطط لانتقامي". (ص214).

إن الاستباق هنا إعلان صريح عما سيقوله إيجوانواني غدا في الاجتماع، وعما سيفعله أوكونكو إن استمعت أومووفيا إلى الرجل وامتنعت عن اتخاذ قرار الحرب، وهو كما هو واضح قريب المدى، لأنه كان سيتحقق غدا. وعلى الرغم من أن إيجونواني الذي يتوقع أوكونكو أن يكون هو المتحدث إلى الناس ليس هو من تحدث إليهم، وإنما تحدث إليهم أوكيكا، أحد الرجال الستة الذين سجنوا، وعلى الرغم من أن سعاة محكمة الرجل الأبيض قد جاؤوا وفضوا الاجتماع قبل أن يتم اتخاذ قرار بشأن الحرب، إلا أن أوكونكو البطل نفذ وعده الذي قطعه لنفسه، وهو أنه سيتركهم ويخطط للانتقام وحده. فقد استل سيفه عن فوره وواجه رئيس السعادة وحده وضربه حتى "وقع رأس الرجل بجانب جسده المكسو ببزته الرسمية". (ص219).

والاستباق سواء كان تمهيديا أو إعلانيا فإنه يشوق القارئ إلى معرفة نهاية القصة ويشجعه على مواصلة القراءة، فالقارئ عندما يمهد له الروائي بأن إيكيميفونا له قصة حزينة تروى في أومووفيا إلى يوم الناس هذا، فإنه لا شك سينقدح في قلبه حب معرفة هذه القصة الحزينة، ولا يزال يتردد ذلك في ذهنه حتى يعرف القصة. وكذلك عندما يعلن السارد على لسان أوكونكو أن أيجونواني سيخبرهم غدا بأنهم لن يخوضوا حرب لوم، وأنه سيخطط للانتقام وحده إن استمعوا إليه، فإنه سيتشوق إلى معرفة ما سيحصل غدا، وتتردد بعض الأسئلة في ذهنه: هل سيقول إيجونواني لهم ذلك برغم معرفته للأزمة الكارثية

التي وقعوا فيها؟ وهل إذا قال لهم ذلك سيستمعون إليه ويتقاعسون عن الحرب؟ وهل إذا استمعوا إليه سينفذ وعده بالانتقام لوحده؟ ولا تزال هذه الأسئلة تتردد في ذهن القارئ وهو يواصل القراءة حتى يصل إلى نهاية القصة.

المبحث الثالث: تقنية المدة الزمنية في الرواية

عرف جيرار جنيت المدة الزمنية في الخطاب الروائي بأنها "مدة القصة المقاسة بالثواني والدقائق والساعات والشهور، وطول النص المقيس بالسطور والصفحات[15].

وعرفها حسن بحراوي بأنها: "وتيرة سرد الأحداث في الرواية من حيث درجة سرعتها أو بطئها". فالقصة قد تكون أحداثها الحقيقية استغرقت عشر سنوات، لكن كتابتها استغرقت يومين أو ثلاثة على شكل يمكن قراءتها في يوم واحد فقط. ويتم ذلك من خلال توظيف الروائي تقنيات لتسريع أحداث القصة وتقنيات أخرى لتبطئتها. وقد اقترح جيرار جنيت أربع تقنيات لتحليل المدة الزمنية في الرواية، تقنيتان لتسريع الحكي وهما: الحذف والخلاصة، وتقنيتان لتبطئة الحكي، وهما: الوقفة والمشهد.

أولا: تسريع الحكي

يحدث تسريع الحكي عندما "يلجأ السارد إلى تلخيص وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها إلا القليل، أو حيث يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد، فلا يذكر ما حدث منها مطلقا[16]. ويلجأ الروائيون إلى هذه التقنية لأنه لا يمكن حكي كل التفاصيل المتعلقة بحياة شخص ما، إذ ذلك سيستغرق زمنا أطول من زمن القصة الحقيقي نفسه، كما يحتاج ذلك إلى صفحات كثيرة جدا. وقد يورث حكي الأحداث بدون تلخيصها عبر تقنيات التسريع مللا لدى القارئ. ويقوم تسريع الحكي على حركتين:

1. الحذف: وهو "تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة زمنية طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من أحداث ووقائع17. فيكون زمن القصة هنا أطول من زمن الخطاب، لأن التفاصيل الموجودة في زمن القصة قد تم تجاوزها في الحكي. وينقسم الحذف إلى قسمين: الحذف الصريح، والحذف الضمني.

والحذف الصريح أيضا ينقسم إلى صريح محدد وصريح غير محدد. فالمحدد هو الذي يعلن فيه الراوي عن "الفترة الزمنية المحذوفة على نحو صريح، سواء جاء في

بداية الحذف، كما هو شائع في الاستعمالات العادية، أو تأجلت الإشارة إلى تلك المدة إلى حين استئناف السرد لمساره[18]. مثل أن يقول الراوي: (وبعد عشر سنوات، مرت خمسة أسابيع، وبعد أربعة أشهر) وما إلى ذلك. وغير محدد هو: "عدم تحديد الفترة الزمنية المحذوفة صراحة، أي عدم تحديد الزمن المقصي من الحكي بدقة[19]. ومثاله أن يقال: (وبعد سنوات، وبعد مدة قصيرة، مرت أعوام عديدة) وغيرها.

أما تقنية الحذف الضمني: فهي "التي لا يصرح في النص بوجودها بالذات، وإنما يمكن للقارئ أن يستدل عليها بثغرة في التسلسل الزمني أو انحلال الاستمرارية السردية[20]. فالروائي هنا يكتفي بالإشارة ضمنيا إلى شيء محذوف، ولكنه لا يصرح بها.

الحذف الصريح في الرواية.

من الحذف الصريح المحدد في الرواية قول الروائي: "وحينما وصل أوكونكو المقيم في أومووفيا إلى مباينو بصفته مبعوث الحرب المتكبر والمتغطرس عومل بشرف واحترام شديدين، وعاد بعد يومين مع غلام عمره خمسة عشر عاما وعذراء شابة". (ص17).

فالسارد هنا حذف كل الأحداث التي جرت في اليومين اللذين قضاهما أوكونكو في مباينو بينه وبين سادة أهلها، فلم يتطرق إلى ذكر تفاصيل المفاوضة ولا إلى الأحاديث التي تجاذبوا أطرافها فيما بينهم، حذفها لأنها لا تهمه هنا، وإنما تهمه النتيجة، وهي عودته بغلام وفتاة عذراء.

ومن الحذف الصريح المحدد أيضا قوله: "بعد ثلاثة أيام، أرسل مفوض شرطة المنطقة رسوله معسول اللسان إلى زعماء أومووفيا داعيا إلى مقابلته في مقر قيادته. لم يكن ذلك غريبا أيضا، فكثيرا ما دعاهم إلى الثرثرة، كما كان يحلو له أن يسميها". (ص207) فقد حذف هنا ما حدث في الأيام الثلاثة التي تلت ذهاب السيد سِمِيثْ إلى مفوض شرطة المنطقة بعد عودته من جولته إثر هجوم أوجووجوو على الكنيسة.

وقد وظف الروائي تقنية الحذف الصريح غير المحدد أيضا إلى جانب الحذف الصريح المحدد، ومن ذلك قوله: "بعد بضعة أيام، وحينما أصبحت الأرض رطبة بعد هطول المطر مرتين أو ثلاث مرات بغزارة، ذهب أوكونكو وعائلته إلى المزرعة ومعهم سلال بذور

اليام ومجارفهم وسيوفهم، وبدأ الزرع. أقاموا أكواما مفرودة من الطين في خطوط مستقيمة في جميع أنحاء المزرعة وبذروا اليام فيها". (ص39) فهنا حذف الروائي أحداثا جرت في أيام، لكنه لم يحدد عدد الأيام، واستغنى عن ذلك بقوله بضعة أيام فقط.

الحذف الضمني في الرواية:

استعان الروائي في هذه الرواية بتقنية الحذف الضمني ليترك للقارئ حرية الاستنتاج في مقاطع سردية متعددة ربما أكثر من الحذف الصريح. من ذلك قوله عند حديثه عن زيارة أوكويي لأونوكا والد البطل أوكونكو في منزله وأخرج أونوكا لهما الكولا ليأكلا منه: "حينما أكلا، تحدثا حول أمور كثيرة: حول الأمطار الغزيرة التي تغرق بطابطا اليام، وحول احتفالات الأجداد القادمة، وعن الحرب وشيكة الوقوع مع قرية مباينو". (ص10).

فالسارد في هذه الفقرة ترك للقارئ فراغا ليملأه، فقد ذكر أنهما تحدثا حول أمور كثيرة، عن الأمطار الغزيرة واحتفالات الأجداد، وعن الحرب، ولكن لم يذكر ماذا قالا عن الأمطار الغزيرة تلك، ولا عن موعد إقامة احتفالات الأجداد ولا عن تفاصيل الحرب الوشيكة الوقوع تلك، لكنه أيضا لم يصرح بهذا الحذف، ولذلك سمي حذفا ضمنيا.

إن المقاطع السردية التي وظف فيها الروائي تقنية الحذف بشقيه الصريح والضمني كثيرة جدا، وكلها أسهمت في تسريع الحكي وطي الفترات الزمنية التي لا تضم أحداثا مهمة في خدمة السرد.

2. الخلاصة: وهي كما عرفها مُحَمَّد بوعزة: "سرد أحداث ووقائع جرت في مدة طويلة، (سنوات، أو أشهر) في جملة واحدة أو كلمات قليلة. إنه حكي موجز وسريع وعابر للأحداث، دون التعرض لتفاصيلها، يقوم بوظيفة تلخيصها[21]. وبذلك يكون زمن القصة أكبر بكثير من زمن الخطاب، فيلخص أحداث جرت في سنوات أو شهور أو أسابيع أو ساعات في أسطر وكلمات قليلة دون التعرض لتفاصيلها. ودورها هو "المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ.[22]

وإذا رجعنا إلى رواية "أشياء تتداعى" سنجد أن هذه التقنية قد تواجدت بشكل كبير جدا فيها، ونشير هنا إلى بعض السياقات التي استعان بها الروائي في تسريع حكي أحداث الرواية.

يقول الروائي: "صهرنا أوزوولو وحش. عاشت معه أختنا تسع سنوات. وخلال هذه السنوات لم يمر يوم واحد في السماء دون أن يضرب المرأة. حاولنا أن نسوي الخلافات بينهما مرات عديدة لا يحصى، وفي كل المناسبات كان أوزوولو مذنبا.[23]

فقد مر مرورا سريعا على السنوات التسع التي عاشتها أختهم مع صهرهم أوزوولو بذكر أهم ما يحتاج إليه القارئ لفهم القصة، لأن القصة جاءت في معرض الحديث عن المرافعة القضائية، فهؤلاء الشخصيات رفعوا قضيتهم في جلسة القضاء أمام أرواح الأجداد، وقضيتهم الأساسية في هذه المحاكمة هي ضرب صهرهم المذكور لأختهم يوميا طيلة التسع السنوات التي عاشتها معه، فذكر القضية الأساسية ومر على السنوات مرورا سريعا.

ثانيا: تبطئة الحكي:

تعتبر تبطئة الحكي تقنية مضادة ومعارضة لتقنية تسريع الحكي، فبينما يعمل هذا الأخير على اختزال أطوار من القصة والمرور عليها سريعا، فإن الأول يعمل على تبطئة الحكي و "إيقاع السرد وتعطيل وتيرته[24]، من خلال تقنيتين، هما: المشهد والوقفة.

1. **المشهد:** وهو "المقطع الحواري، حيث يتوقف السرد ويسند الكلام للشخصيات، فتتكلم بلسانها فيما بينهما مباشرة، دون تدخل السارد أو وساطته. في هذه الحالة يسمى السرد بالسرد المشهدي[25]. ومن شأن هذه التقنية أن تبطأ سير السرد، لأنه يتوقف هنا تماما لصالح الحوار، فيكون زمن القصة مساويا لزمن الخطاب.

ومثال المشهد في رواية "أشياء تتداعى" ذلك المشهد الحواري بين إيزينما ابنة البطل أوكونكو وأمها إيكويفي حين تتهيآن للذهاب لمشاهدة المصارعة يوم مهرجان اليام الذي يجري في بداية كل سنة، وخافت إيزينما من أن يتأخرا" :

قالت إيزينما لأمها: سنتأخر عن المصارعة

– لن يبدأوا قبل أن تغيب الشمس

– لكنهم يقرعون الطبول

– نعم. الطبول تبدأ ظهرا، لكن المصارعة تنتظر حتى تبدأ الشمس بالغروب.

– اذهبي وانظري إذا كان أبوك قد أخرج اليام لوجبة بعد الظهر.

– أخرجها. وأم نوويي بدأت الطبخ.

– اذهبي وأحضري حصتنا إذن. يجب أن نطبخ بسرعة وإلا تأخرنا عن المصارعة". (ص50).

يقدم هذا المشهد حوارا بين الأم إيكويفي وابنتها إيزينما، حيث تُظهر إيزينما تخوفها من أن تفوتهما الصارعة التي طالما تشوقت لمشاهدتها، فتطئنما الأم التي شاهدت المصارعة مرات عديدة وعرفت عادات أهل البلدة في مثل هذه المناسبة، بل إنها تعلقت بزوجها أوكونكو أول ما تعلقت به في مثل هذه المناسبة عندما تغلب على الهر أمالينز، فليس من عادتهم أن يبدؤوا قبل مغيب الشمس. إلا أن الطفلة مع ذلك ما زال الخوف من فوات المصارعة يراودها، لأنها قد سمعت الطبول تقرع، فتخبرها الأم بأن قرع الطبول يبدأ مبكرا وقت الظهيرة حتى الغروب.

2. الوقفة: وهي أيضا من تقنيات تبطئة الحكي وتعطيل حركة السرد وإيقافها، وتعرف في مسار السرد الروائي بأنها: "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها[26].

وهنا يكون زمن القصة أصغر من زمن الخطاب، إذ السرد يتوقف ويستمر الخطاب. وتسمى أيضا الاستراحة.

وتتحدد وظائف الوصف في وظيفتين أساسيتين: وظيفة جمالية تعمل على تزيين الخطاب وتشكيل استراحة في وسط الأحداث السردية. ووظيفة توضيحية تفسيرية تعمل على الدلالة على معنى معين في إطار سياق الحكي.[27]

وقد احتوت رواية "أشياء تتداعى" على وقفات متعددة تقوم أغلبها بأداء الوظيفة التفسيرية لشخصيات أو أماكن أو مواقف مختلفة أو طبيعة. ونشير هنا إلى وصف السارد لشخصية البطل أوكونكو حيث يقول: " كان طويلا وضخما، أضفى عليه

حاجباه الكثان وأنفه العريض مظهرا صارما، وهو يتنفس تنفسا ثقيلا، وقد قيل إن زوجاته وأطفاله كانوا يسمعون صوت تنفسه أثناء نومه وهم في أكواخهم البعيدة عن كوخه، حين يمشي لا يكاد عقباه أن يمسا سطح الأرض، فيبدو أنه يمشي على نوابض، كأنه ينقض على شخص ما... وهو يشكو من تلعثم طفيف في النطق، وحين يغضب ولا يستطيع أن ينطق كلماته بسرعة كافية، يستعمل قبضتيه. وهو لا يصبر على الرجال الفاشلين، ولم يصبر على أبيه". (ص8) فكل هذا وصف أوقف سيرورة السرد وأدى وظيفة تفسيرية لشخصية البطل أوكونكو.

المبحث الرابع: التواتر الزمني وأشكاله في الرواية

يختلف عدد مرات وقوع الحدث في الرواية من حدث لآخر، كما يختلف عدد مرات روايته من حدث لآخر، فبينما نجد حدثا يقع مرة واحدة فقط لكن يروى عدة مرات، نجد حدثا آخر يقع مرات عديدة ويروى مرة واحدة فقط. ويقع أحيانا مرات ويروى مرات، أو يقع مرة ويروى مرة، فهذه تقلبات مرات وقوع الحدث وارتباطها بمرات روايته هي ما تسمى بـ (التواتر السردي). يقول جيرار جينيت: "إن حكاية، أيا كانت، يمكنها أن تروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة، ومرات لا نهاية ما وقع مرات لا نهاية، ومرات لا نهاية ما وقع مرة واحدة، ومرة واحدة ما وقع مرات لا نهاية.[28]

وعرفت التواتر خوسيه ماريا يوثويلو غيفانكوس (Jose Maria Pozuelo Yvacos) بأنه: "الطريقة الزمنية المنسوبة إلى علاقات تردد الأحداث في القصة وتردد التلفظات القصصية لهذه الأحداث.[29]

ومن خلال ما قاله جيرار جينيت يمكن تقسيم التواتر إلى أربعة أقسام:

أن يروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة. ويسمى التواتر الفردي.

أن يروى عدة مرات ما وقع عدة مرات. وهو التواتر المتكرر الكلمات.

أن يروى عدة مرات ما وقع مرة واحدة. وهو التواتر التكراري.[30]

أن يرى مرة واحدة ما وقع عدة مرات. وهو التواتر المتشابه كما سماه والاس مارتن (Walace Martene)[31]

نلاحظ أن بعض صور التواتر يؤدي دورا مهما في تسريع الحكي بصورة عامة، كما أن بعضها يسهم في تبطئته، فالحدث الذي يروى مرات عديدة مع أنه لم يقع إلا مرة واحدة

فإنه بلا شك يعطل سيرورة الحكي، ويليه ما يحدث مرات ويروى مرات. أما الذي يروى مرة واحدة وقد وقع مرات عديدة فإنه بالعكس من الصورة الأولى، فهو يسرع الحكي، ويأتي بعده ما يقع مرة ويروى مرة فقط.

وإذا ما عدنا إلى رواية "أشياء تتداعى" لنلمس وجود التواتر السردي بأنماطه الأربعة، فإننا نجدنا أمام أمثلة كثيرة جدا لكل نمط من هذه الأنماط، غير أن بعض الأنماط أكثر تواجدا فيها من بعض .

التواتر الفردي في الرواية:

وهو كما ذكرنا أن يروى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، وهذا النوع هو الأكثر شيوعا في رواية "أشياء تتداعى"، بل وفي أكثر الروايات، ويعتبر أغلب ما يرد من هذا النوع أحداثا ثانوية. ومن أمثلته في هذه الرواية: زيارة أوكويي لأونوكا والد أوكونكو في بيته ليستعيد منه دينه، حيث يقول: "وذات مرة، أتى جار له يدعى أوكويي لزيارته، كان أونوكا متكأ على سرير من الطين في كوخه، ويعزف على الناي. وثب واقفا على الفور وصافح أوكويي، الذي فرش جلد ماعز كان يحمله تحت إبطه، وجلس ...". (ص10) إلى آخر ما ذكر مما جرى بينهما.

فالسارد لم يُعِدْ رواية هذا الحدث مرة أخرى، لأنه لا يعتبر من الأحداث الرئيسة التي تشكلت منها سيرورة الحكي، وإنما جاء بها كاستشهاد أو مثال لإثبات دعواه من أن أونوكا كان ينتمي إلى ذلك النوع من الرجال الذين ينجحون في اقتراض المزيد وتكويم الديون حتى من الذين أقسموا ألا يقرضوه مزيدا من المال أبدا، لأنه لا يسدد دينه.

التواتر المتكرر الكلمات في الرواية:

وهو أن يروى عدة مرات ما حدث عدة مرات. ومثاله في الرواية نداء إيزينما لأمها باسمها المجرد خلافا لغيرها من الصبيان، فهذا حدث متكرر رواه لنا السارد مرتين في الرواية. حيث يقول: "كانت إيزينما، خلافا لمعظم الأطفال، تنادي أمها باسمها". (ص47) ويقول في موضع آخر: "لا تدعو إيزينما أمها ني، ككل الأطفال. بل تدعوها باسمها المجرد إيكويفي، مثلما يفعل أبوها والكبار الآخرون". (ص87).

ومنه أيضا خوف أوكونكو من الفشل والضعف من مشابهة أبيه الذين يتردد داخله حينا بعد حين، "كان خوف أوكونكو أعظم من كل هذه، لم يكن خوفا خارجا، بل كان

خوفا يستقر عميقا في نفسه، الخوف من نفسه لئلا يبدو مشابها لأبيه. حتى حين كان فتى صغيرا، كان مستاء من فشل أبيه وضعفه". (ص18) ويقول: "كان ممسوسا بالخوف من سيرة أبيه المزرية وموته المخزي". (ص23) وقال: " فكلما ضايقته فكرة ضعف وفشل أبيه كان يطردها بالتفكير في قوته ونجاحه". (ص75) فهذا الخوف لم يراوده مرة واحدة فقط، وإنما يراوده ويتردد في قلبه كلما وجد ما يذكّره بوالده الفاشل.

التواتر التكراري في الرواية:

والتواتر التكراري: أن يروى عدة مرات ما حدث مرة واحدة. وقد حكى لنا السارد في هذه الرواية عدة أحداث على هذا النحو. من ذلك قصة مصارعة أوكونكو مع الهر أمالينز، فالحدث وقع مرة واحدة فقط، ولكن السارد حكاه لنا مرتين، حيث يقول في المرة الأولى: "حاز لقريته على شرف عظيم بتغلبه على الهر أمالينز المصارع العظيم ... وهو الرجل الذي طرحه أوكونكو أرضا في قتال وافق الرجل العجوز على أنه أشرس قتال منذ أن تصارع مؤسس بلدتهم مع روح البراري مدة سبعة أيام وسبع ليال". (ص7) ويقول في الأخرى: " أسر أوكونكو قلبها بتغلبه على الهر في أعظم مباراة تعيها الذاكرة الحية". (ص47).

فهذا الحدث المذكور هنا وقع مرة واحدة فقط، لكن السارد رواه عدة مرات.

التواتر المتشابه في الرواية :

وهو أن يروى مرة واحدة ما حدث عدة مرات، بأن يستعمل السارد بعضا من العبارات التي تدل على تكرر الحدث، نحو (كلما، كان يفعل كذلك، يفعل كذا دائما) وغيرها من العبارات. وقد يجمع بين عبارتين أحيانا للتأكيد على تكرر الحدث مرة بعد مرة.

ومثال ذلك في رواية أشياء تتداعى قول السارد: "وقد قيل إن زوجاته وأطفاله كانوا يسمعون صوت تنفسه أثناء نومه وهم في أكواخهم البعيدة عن كوخه". (ص8) فسماع زوجاته وأولاده لصوت تنفسه أثناء نومه حدث يتكرر يوميا، لكن السارد حكاه مرة واحدة فقط من خلال عبارة (كان يفعل).

ومن توظيفه لهذه التقنية أيضا قوله: "كان السيد بروان، كلما زار تلك القرية، يمضي ساعات طويلة مع آكونا في أوبيه ويحدثه عن طريق مترجم الدين". (ص192) وهنا جمع السارد بين عبارتي (كان يفعل، وكلما) ليؤكد لنا تكرر الحدث مرات عديدة.

وهكذا وظف الروائي التواتر السردي بجميع أنماطه في هذه الرواية، ما يدل على مهارة السارد وبراعته في التصرف معه وقدرته على جعله مادة تغذي سيرورة الحكي وتزينه.

خاتمة:

وبعد هذه الجولة الشيقة والرحلة الممتعة التي قضيناها مع رواية "أشياء تتداعى" للروائي النيجيري المشهور "تشينوا أتشيبي"، وبعد ما غصنا في أعماق بحار بنيتها السردية واستخرجنا جماليات تقنياتها الزمنية وعناصرها الفنية، ننزل عصا سيرنا هنا، لنختم رحلتنا بذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها في نهاية هذه الرحلة، وهي كالآتي:

1. استعمل الروائي في هذه الرواية جميع عناصر بناء الزمن السردي وتقنياته التي حاولنا استنطاق نص الرواية لاكتشافها واستخراج جمالياتها، وهي تتمثل في: المفارقة الزمنية، والمدة الزمنية، والتواتر الزمني. هذا إلى جانب بقية عناصر بناء العمل الروائي عموما، والتي لا تقل أهمية عن الزمن السردي، مثل المكان والشخصيات والتهجين وغيرها.
2. أما المفارقة الزمنية فقد ولدها الروائي من خلال توظيفه لتقنتي الاسترجاع والاستباق، فكان أحيانا يسترجع الأحداث البعيدة المدى التي وقعت خارج زمن الرواية، وأحيانا يسترجع الأحدث القريبة المدى التي جرت داخل الحيز الزمني للرواية، كاسترجاعه لأحداث وقعت قبل يوم أو أسبوع أسنة أو غيرها. كما أنه يستبق أحيانا أحداثا قبل زمن وقوعها، إما عن طريق التمهيد لها بإشارات وتلميحات من دون التصريح بذلك، وإما عن طريق الإعلان والتصريح بأنها ستقع، وفي كلتا الطريقتين يستبق أحداثا ستقع داخل زمن الرواية، وأحيانا أحداثا ستقع خارج زمن الرواية.
3. ووظف الروائي تقنيتي المدة الزمنية: تسريع الحكي، وتبطئة الحكي. فكان يسرع الحكي أحيانا من خلال حذف صريح معلن لفترات من الزمن محددة حينا وغير محددة حينا آخر، فيقول مثلا: (وبعد عشر سنوات، مرت خمسة أسابيع، وبعد فترة توقف قصيرة، وبعد فترة طويلة) وهكذا. كما يسرع الحكي أحيانا عن طريق التلخيص، فيمر على فترات من الزمن مرورا سريعا دون الوقوف على تفاصيل الأحداث التي جرت فيها. أما تبطئة الحكي فكان يوظفها من خلال

تقنية المشهد الحواري، بحيث يترك الشخصيات يتحاورون فيما بينهم دون تدخل من السارد، أو من خلال الوقفة التي يوقف عندها الحكي لصالح الوصف لشخصيات أو مواقف أو طبيعة أو غير ذلك.

4. وبالنسبة للتواتر الزمني فقد تجلى في الرواية بجميع أشكاله الأربعة، فكان يروي عدة مرات حدثا وقع مرة واحدة فقط، ويروي مرة واحدة حدثا وقع مرات عديدة. كما يروي مرة واحدة فقط حدثا وقع مرة واحدة فقط، ويروي عدة مرات حدثا وقع عدة مرات. ولكل هذه الأشكال أمثلة مر ذكر بعضها.

الهوامش:

1. ربيعة بدري، البنية السردية في رواية: خطوات في الاتجاه الآخر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة مُحَمَّد حيدرا، الجزائر، 2015م، ص194.
2. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997م، ص73.
3. تشنوا أتشيبي، أشياء تتداعى، ترجمة: سعيد عزت نصار، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2002م، ص7. سأشير إلى صفحة النص المقتبس من هذا الكتاب بعد الآن مباشرة أمام النص بين قوسين.
4. جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: مُحَمَّد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م، ص47.
5. جيرال برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ميريث للنشر والمعلومات، ط1، 2003م، ص16.
6. آمنة يوسف، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، ط2، بيروت، 2015م، ص104.
7. جيرال برنس، قاموس السرديات، مرجع سابق، ص16.
8. المرجع نفسه، ص16.
9. جيرار جينيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، مرجع سابق، ص60.

10. النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م)، ط1، 2004م، ص33.

11. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار، ط1، بيروت، 2002م، ص211.

12. جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، مرجع سابق، ص51.

13. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، ط1، 1990م، ص132.

14. المرجع نفسه، ص143.

15. ينظر: صفاء المحمود، البنية السردية في رواية خيري الذهبي، (الزمان والمكان)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة البعث، الأردن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010/2009م، ص134 .

16. جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، مرجع سابق، ص102.

17. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص119.

18. هيثم علي الحاج، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2005م، ص26.

19. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص120.

20. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص159.

21. ربيعة بدري، البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر، لحفناوي زاغر"، مرجع سابق، ص244.

22. جيرار جينيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، مرجع سابق، ص119.

23. مُحَّد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 1431هـ/2010م، ص93.

24. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة المعربة العامة للكتاب، دط، 2005م، ص82.

25. المرجع نفسه، ص102-103.

26. مُحَّد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، مرجع سابق، ص95.

27. المرجع نفسه، ص95.

28. حميد لحيمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص76.

29. ينظر: المرجع نفسه، ص79.

30. جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) مرجع سابق، ص130.

31. خوسيه ماريا بوثويلو ايفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حمد، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، ص288.

32. ينظر: المرجع نفسه، ص288-289.

33. مارتن والاس، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: جاسم مُحَمَّد، المجلس الأعلى للثقافة، دب، دط، 1998م، ص164.